من روائع القصص الواقعي الإسلامي

عمـــــار بن ياسر

للأستاذ دريني خشبة

« يا ابن سمية ، لايقتلك أصحابي ، ولـكن تقتلك الفئة الباغية ! »
(حديث شريف)

— ١ —

« عير من اليمن »

الحارث — ولم لاتعود معنا يا أخانا إلى اليمن ؟

ياسر — اليمن وطني ، ولـكني والله أشم ريحاً بمكة لاتهب إلا من السماء ؛ وإن قلبي ليهفو إلى مسراها . فاذهبا أنتما حتى يأذن الله !

مالك — يا أخانا ، أنأتي إلى الحجاز لنعود أربعة إن وجدنا أخانا الضائع ، فلا نعود إلا اثنين ؟ أي ريح هذه التي تهب من السماء وإنك لتهفو إلى مسراها ؟

ياسر — والله يا ابن أم ما أدري . وأكاد أنصح لـكما ألا تعودا أدراجكما حتى نلتقيها جميعاً ...

(*) التقينا في هـذا البحث بمقال للعلامة « شاندلر » نشر في الغازيتة البابية .

الزنك على الأوراق والفروع . أما المقدار الذي يضاف إلى التربة فانه يختلف تبعاً لطبيعة التربة والنبات والـكائنات المجهرية التي بالتربة . كما أن المرجح حتى الآن أن الدور الذي يقوم به الزنك في العمليات التي تجرى بالنبات هو دور العامل المساعد في بعض التفاعلات التي تتصل بتمثيل المواد الـكربوايدراتية (١)

هيبه الحليم منتصر
ماجستير في العلوم

مالك — بل تبق أنت ونرتحل نحن غداة غد ...

ياسر — ومع ذاك فلا أحبّ إلى من أن تبقيا !

الحارث — بل تبق أنت ونرحل نحن

— ٢ —

« في مضارب بني مخزوم »

ياسر لأعرابي — عم صباحاً يا أخا العرب

الأعرابي — عم صباحاً ! من أنت ؟ ومن أي البطون أقبلت ؟

ياسر — أنا رجل يمني أقبلت في عير مع أخوي لنبحث عن أخ لنا رابع أبق

الأعرابي — ما عن ذاك سألت !

ياسر — بلى ، وأريد أن أحالف (١) سيد هذه العشيرة . فمضارب من هِيَهْ ؟

الأعرابي — مضارب سيد العرب أبي حُذَيفة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم (٢) وإنه لقادم فالقه إن شئت !

(يقبل أبو حذيفة)

أبو حذيفة — ممن الرجل وماذا يبغي ؟

ياسر — يمني يعربي لخطاني يبغي أن يحالف سيد العرب فيخلص له !

أبو حذيفة — على عهد بَعْل وهُبَل !

ياسر — ... ! ...

أبو حذيفة ينادي : يا كعب ... يا كعب ... خذ الرجل فاعهد إليه بالإبل !

— ٣ —

أبو حذيفة — وحق بَعل وهُبل يا ياسر إنك للمخلص الأمين ، وإني لمزوجك أمتي الجيلة العاقلة سُمية هذه

ياسر — ... الحمد لله !

(١) يعاهد ويلزم ، كناية جيلة عن الرق
(٢) الطبري ج ١٣ ص ١١

أبو حذيفة — ... بل لِهُبَل !

ياسر — الحمد لله لى ولك ياسيدى على ما رزقنى

أبو حذيفة — إحمد هُبلاً ، واحمد بعلاً يا ياسر ، فإنهما الإلـهان !

— ٤ —

« فى مغابر بنى مخزوم »

ياسر — أفى هذا الثرى ترقد يا أبا حذيفة ! أما والله إنه لا بَعْل نفعك ولا هبل ... أما والله لقد عجل بك الموت عن الطريق السُّوَى ...

عمار — ماذا تقول يا أبتاه ! ما الطريق السُّوَى ؟ ...

ياسر — والله يابنى إنا لفى زمان أظلنا فيه فَيْء نبى ، وإنى لأجد شميمه ، وإنى والله تخلفت عن أعمامك فلم أضرب بطون المطى إلى اليمن من أجل هذا ، لأن اليهود تقول إنه من قريش

عبد الله — وما بكاؤك هذا كله على أبى حذيفة ؟

ياسر — أكرم مثواى وزوجنى سمية أمكما فرزقتكما منها يا بنى ؛ وقد أعتقنى فما رضيت أن أفارقه . ولشد ما أخشى أن أهون بعده !

— ٥ —

« بيت بالصفا يلحف أبى قبيس »

ياسر — إسمعى يا ابنى ما أحلى ما يقرأ محمد والمسلمون معه !

عمار — وماذا يقرأون يا أبى ؟

ياسر — يقرأون ما يقضى إلى محمد وحيه من الله . لله ما أحلى ولله ما أعلى !

عبد الله — أليس هو من عند بَعْل يا أبتاه !

ياسر — بعل حجر لا ينطق وهم خلقوه . والله لقد حان حين بعل !

عمار — ولم لا ندخل فنقرأ معهم يا أبى ؟

ياسر — والله إنى لهذا جئت إلى الصفا يا بنى . ووالله إنى لأجد الريح التى تنشقتها مذ قدمت من اليمن . ومن أجلها استأنيت الحجاز وخالفت أخوى !

عمار — إذن نطرق الباب لنكون من السابقين !

ياسر — والله لتكونن منهم بإذن الله .. اطرق يا بنى فلقد شرح الله صدورنا لهذا الأمر (عمار يطرق الباب)

صوت من الداخل — « من ؟

عمار — مؤمنون بمحمد يريدون رسول الله !

الصوت — حُبّاً حُبّاً إخواننا فى الله !

ياسر — يدك يا رسول الله . أشهد وبنىّ أنه لا إله إلا الله وأنك رسول الله (يمد لهم الرسول يمينه فيبايعونه)

ياسر — إنطلق يا عمار فأت بسمية تشهد معنا وتغنم هـذا الخير ، إن هـهنا مؤمنات مسلمات خاشعات !

— ٦ —

« رمضاء مكة وقت الظهيرة »

« يقدم بنو مخزوم ومعهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية »

أحدهم لياسر — نم ياصاحب محمد ! ذق عـذاب السعير الذى ينذرنا به نبيك ! (ويضربه ويضع الحجارة على صدره)

أحدهم لعمار — وأنت يا ابن الأمة ! قل كفرت برب محمد ! قل ! إخلع هذه الثياب فلنفصلن لك ثياباً من رمضاء مكة تكويك وتشويك (ينزع عنه الثياب ويقيده ويحثو التراب على رأسه)

أترى إلى هذا الجعل ؟ قل هو ربى ! قل هو خير من إله محمد ! قل آمنت ببعل وود ويغوث ويعوق ونُهبل ، وكفرت بإله محمد !

عمار — بل الله الله ! الله ربى وبعل حجر أنتم خلقتموه !

(الكافر يركله ويحمى حديداً فى نار موقدة ويكويه به)

الكافر المخزومى — قل كفرت بإله محمد أو أسمل عينيك

عمار — إقض ما أنت قاض . إنما تقضى هذه الحياة الدنيا !

الكافر — أنظر إلى أبيك وأمك كيف يتعذبان ! ألا تستر أمك فتكفر بمحمد وإله محمد يا ابن الأمة !

عمار — بل يصبران لبلاء الله كما أصبر ... الله . الله . الله !

أحدهم لسمية وهو يعذبها — أنظرى يا أمة بعل ، هذا زوجك وهذا ولدك ، ألا تكفرين بإله محمد فنرسلك ونرسلهما ؟

سمية — وكيف وقد هدانى الله ؟ لعذابكما أهون من حر جهنم . بل ربى الله لا أعبد إلا إياه ...

الكافر المخزومى — وولدك هذا الذى يكوى بالنار ؟

سمية — يصبر اليوم خير من ألا يصبر غدا !

الكافر المخزومى — ولن أدعك حتى تكفرى بمحمد

(يضربها على يافوخها فتحتضر)

سمية — بل ربى الله ! آمنت بالله وبرسوله

(يمر رسول الله فيرى ما يفعل بآل ياسر)

رسول الله — « صَبْراً آل ياسر ! موعدكم الجنة . صَبْراً آل ياسر ! موعدكم الجنة ! »

آل ياسر — لقد بعنا لك أنفسنا يا رسول الله فانظر ما يفعل السفهاء بنا

سمية — صوت مَنْ ؟ الرسول الكريم ! محمد ! آمنت بك يا محمد ! آمنت بك يا محمد ! إشهد يا محمد مايصنع بنا بنو مخزوم ...

الكافر المخزومي — تعال يا محمد نخلص عبيدك !

(وضربها الكافر بحجر كبير على رأسها فتموت ويستعير النبي)

الرسول الكريم — يارب . يارب . يارب !

أبو جهل (يحضر فيشهد فيقول لياسر) — يا فاجر تكفر بأربابك وأرباب آبائك ؟ ها هو ذا محمد أدْعُه يمنعك !

(يمضي أبو جهل فيحثو التراب على رأس الرسول ويعود)

أرأيت ! ها هو ذا محمد ! تركت دين أبيك يا ياسر وهو خير منك . لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ! (يضربه ويمضي)

أبو سلمة المخزومي[1] — يا لقومي ! أتقتلون أناساً أن يقولوا ربنا الله !

أبو جهل — أمسكت يا أبا سلمة أو لنرجمنك ونضعن شرفك !

— ٧ —

« النبي والصحابة يبنون مسجد المدينة »

مَدَني لأنصاري — مَنْ أخوكم هذا الرجل الآدم الطوال المضطرب الأشهل[2] الذي يحمل لبنتين ولا يحمل أيهم إلا لبنة واحدة ؟

الأنصاري — ألا تعرف من هذا ؟ إنه حبيب نبينا الرجل المؤمن الذي ما تعذب أحد من المسلمين كما تعذب ... هذا عمار ابن ياسر ...

المدني — ومن هذا الرجل النظيف المتنظف يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه ، فاذا وضعها نفض كفيه ونظر إلى ثوبه ، فاذا أصابه شيء من التراب نفضه[3] ؟

الأنصاري — هذا الرجل الصادق عثمان بن عفان

(علي بن أبي طالب يرى ما يصنع عثمان فينشد)

علي بن أبي طالب :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعاً وساجدا
وقائماً طوراً وطوراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً !

(عمار يسمع علياً فيحفظ ما يقول وينشده فيسمعه عثمان)

عثمان — يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض . لتكفن أو لأعترضن بهذه الجريدة وجهك (النبي يسمع ما يقول عثمان)

عمار — جلدة ما بين عيني وأنفي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني ...

بعض المسلمين لعمار — إن رسول الله قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن !

عمار — أنا أرضيه كما غضب ! (يقصد نحو النبي)

عمار — يا رسول الله مالي ولأصحابك ؟

رسول الله — ومالك ولهم ؟

عمار — يريدون قتلي ... يحملون لبنة ويحملون على لبنتين

(النبي ينفض عنه التراب بيديه الكريمتين ويطوف به)

النبي — ويْح عمار ! تقتله الفئة الباغية ... يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار[1] ... للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن[2]

— ٨ —

« سنة ٣٧ هـ ، يوم صفين في الفتنة بين علي ومعاوية »

مجلس شورى[3]

علي بن أبي طالب بعد خطباء — أيها الناس ! إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غاد عليهم بنفسي بالغداة فأحاكمهم بسيفي هذا إلى الله !

(خطباء كثيرون يرون الحرب ويرى غيرهم المواعدة)

عمار بن ياسر — أما والله لقد أخرجها إليك معاوية بيضاء ، من أقرّ بها هلك ، ومن أنكرها هلك . مالك يا أبا الحسن ؟ أشككتنا في ديننا ورددتنا على أعقابنا بعد مائة ألف قتلوا منا ومنهم ؟ أفلا كان

(١) أحد المؤمنين السابقين من بني مخزوم وقد هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى

(٢) هذا الكلام من وصف لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار لعمار

(٣) هذه رواية أم سلمة زوج النبي

(١) الحديث رواه البخاري وأثبت بعض القصة ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار ج ١ وقد اعتمدنا على ما أثبته ابن عبد ربه في العقد ج ٣

(٢) زيادة في حديث رسول الله أثبتها معمر في جامعه

(٣) من تاريخ ابن قتيبة

هذا (الاحتكام إلى كتاب الله) قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة ؟ قد دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن من خالفنا منهم ضال حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا المال ما قد سمعت ... فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . والله ما أسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طفئت الفتنة ...

علي — والله إني لهذا الأمر كاره !

— ٩ —

« في حرب صفين »

عمار — أيها الناس! ائتوني بضباح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء [1] « يشرب ويحمد الله ويقول : » إن رسول الله قال لي إن آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن ... اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته ... اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظُبَةَ سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت . وإني لا أعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم أن عملا من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته ...

(عمار يهتف بالمسلمين من أصحاب علي)

— ألا من يبتغي رضوان الله عليه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد ... ؟ (يقصد إليه مسلمون كثيرون فيهتف بهم)

— أيها الناس! اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً ؛ والله ما طلبهم بدمه ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرءوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم . ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا .. تلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ... ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان .. اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم !

(ويمضي بمن معه من المحاربين)

عمار — يا عمرو بن العاص

عمرو — مالك يا عمار ؟

عمار — تَبًّا لك بعت دينك بمصر ! تباً لك تباً ! طالما بغيت في الاسلام عوجاً ... يا عبيد الله بن عمر بن الخطاب !

عبيد الله — مالك يا عمار ؟

عمار — بعت دينك من عدو الاسلام وابن عدوه ؟

عبيد الله — لا ، ولكن أطلب بدم عثمان

عمار — أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز وجل ، وأنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك ! ... أما والله لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله ثلاثاً ، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى (عمار يهجم بمن معه ويقول لهاشم حامل الراية)

تقدم يا هاشم ... الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسل . وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين ؛ اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

(يهجم عليه أبو غادية المزني من أصحاب معاوية فيقتله)

أبو غادية — إليك أيها الرجل فأنا قاتله ...

عقبة بن عامر — بل أنا صاحبه . إليك إليك ... لي رأسه أحتزه بسيفي !

أبو غادية — فتذهب بها إلى معاوية ؟

(يقبل معاوية ومعه عمرو بن العاص)

عمرو بن العاص — والله إن يختصمان إلا في النار !

(ينصرف الرجلان بعد تسليم الرأس)

معاوية — ما رأيت مثل ما صنعت ! قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما إنكما تختصمان في النار

عمرو — والله ذاك ! والله إنك لتعلمه ، ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة .. لقد أسلم قبلي وقبلك ، وأوذي مالم نؤذ ، وأحبه رسول الله ، وحضر كل وقائع النبي ... وقال الرسول تقتله الفئة الباغية !

معاوية — ويلك يا عمرو ! أنحن الذين قتلناه .. لقد قتله من أخرجه لهذا اليوم !

* * *

عليك السلام يا عمار ... ليت قوماً غير المسلمين قتلوك !

أمين مسعد

(١) الطبري ج ٦